

الثعلب الفضّي

للقصصيّة الألمانية فيكي باوم
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

الحقق، عميق الوجيب،
مل، شغافه أمل التحلي
بذلك الفراء الجميل ...
وسكانت تدعوه في
أحلامها «ثعلبي الفضّي»
وفي كل صباح من
أصبح العمل في الساعة
التاسعة والدقيقة الثامنة

تأق مايل على ثعلبها نظرة
النور والوداع ثم تنطلق
في سبيلها إلى محل عملها
في شركة «بارسون -
ماتون» حتى تصل إليه
قبل وصول «السيدة
بلاكني» مساعدة المدير ...
وتهرول مايل في طريقها
حتى تصل إليه أخيراً
واحدة لهنى وقد أعياها
السير، وجهدها العجلة...
ولكنها تجد نفسها - على
الرغم من ذلك - وصلت
مستأنية متأخرة عن موعد
وصول السيدة بلاكني

التي تسارقها النظر الشرر خلال ساعات العمل ...
ومايل - إلى جانب ماتقدم - عادة في ربيعها
العشرين جميلة القسمات ... ولكن هذا لا يكفي ...
فهناك جموع زاخرة من الفتيات قد تحشدن في
الطرق وكلهن جميلات رائعات ... فما الذي مازها
منهن؟.. نعم! لقد مازها منهن لون عينيها وشعرها ...
(٧)



ربما كان في طوق
«مايل» أن تحصل على
الثعلب الفضّي لو تسلفت
النظر قليلاً إلى الأمام قبل
أن يثبت لها ضرس العقل
الذي بذلت في سبيله كل
ما في يدها ...

وكان الثعلب الفضّي
معروضاً في واجهة أحد
محال الفراء في شارع
واردر، وكان من عادة
مايل أن تتلبث أمامه
برهة من كل صباح،
تسرح البصر في أطرافه
وأعطافه، وقلبها مجلان

ولدت فيكي باوم في فينا في ٢٤ إبريل سنة ١٨٨٨
وكانت في مبدأ حياتها تعرف على العود Harp في أحد
مسارح فينا ... وكان للموسيقى ولصلتها الوثيقة بالشرح
أثرين في حياتها القصصية حتى يرى متفحص أثرها الأدبي
أن معظم أعمالها الأدبية التي سبقت قصتها «الفندق الكبير»
تصف الحياة المسرحية وصفاً دقيقاً رائعاً ... وقد بلغت
أوج مجدها الأدبي بعد قصة «الفندق الكبير» ... وهي تعد
الآن من أكبر كاتبات القصة في العصر الحديث «فنعي»

فإنك إذا ما نثيت إليها الطرف رافق منها التقاء شعرها
الجلل وعينها الصافيتين عند لون واحد هو اللون
البنى الضارب إلى الذهب
هذا عن مايل ...

أما عن ثعلبها الفضى ... فقد كان لين الحاشية
كمخمل الدياج ، ناصع اللون كروائع الشيب ، وله
من الفضة وهجتها والتماعها ، وكان عندما رآته
مايل للمرة الأولى — متوسطاً للواجهة وقد نقش
عليه ثمنه « أربعون جنيهًا » ثم عصفت به عواصف
السوق فالتبذت به أحد أركان الواجهة وقد نقش
عليه « ثلاثة وثلاثون » جنيهًا

وظل الثعلب مرقومًا بذلك الثمن ثلاثة شهور
دون أن يتقدم أحد لاشرائه ... ثم تخفّض فجأة
إلى « ثلاثين جنيهًا » ثم أقبلت طلائع الصيف
فهبط إلى عشرين ... وأصبحت فرصة ثمينة لمن
ينبذها .

ورآته مايل فكأنما تنزل عليها الفراء من
الدم ... إن عشرين جنيهًا مبلغ نيس بالهين
ولكنه أيضًا ليس ممتعًا عليها كل الامتناع ...
ومضت تقاول نفسها وقد استبدت بها جنون الحصول
عليه ، وخيل لها أن كل ما حوالها من النساء
حاليات العطف بالفراء وهى وحدها العاطلة

فها هنا قرينات أصحاب الشركة الثلاث تمايد
على أعطافهن الثعالب الفضية وتوشى حلل الخريف
المنضرة ... وها هنا زائرات الشركة تنوس على
أكتافهن ذبول الثعالب وتتمنى فى هيئة ورفق ...
وها هنا ثلاث عاملات من زميلاتهن يتخطرن فى
تدلل وقد ترين بالفراء الجميل ... نعم ... إن ثعالبهن
صغيرة وقصيرة ولكنها ثعالب فضية أيضًا ...

وفى ذات صباح من أصبح الخريف الضاحية
أقبلت السيدة بلا كنى تريف فى خطرتها ، وقد
تطوق عنقها بثعلب فضى جميل كان هدية المدير إليها
فى عيد ميلادها الحسين .

وكان هذا هو اليوم الذى قرأ فيه عزم مايل
على شراء ثعلبها الفضى الذى عقدت أسبابها به هذه
الشهور الطويلة ... فبدأت تقتصد فى مالها

وأخذت مايل تقضى أمسياتها فى المنزل
عازفة عما خلاه وقد ارتسمت فى مقلتها صورة
السيدة بلا كنى وقد التمع فراؤها الفضى على كتفها
وتوهجت عيناه الدقيقتان من بين طوايا الشعر الغزير
وما أكملت مايل اثنى عشر جنيهًا حتى دهاها
ما دهاها من خرس العقل ... وأنت أعلم بما يلتاب
الإنسان فى مثل هذه الحال ... يتولاه الألم ، ثم
يرج به ، ثم لا يستطيع مضغًا ولا حركة ، ثم يفحصه
الطبيب ، ثم يستزيره يومًا ثانيًا ثم يومًا ثالثًا ، ثم ينتهى
الأمر بنخلع الخرس . ثم يعطيه الطبيب بطاقة صغيرة
عليها الأجر .

إلى هنا لم يبق مع مايل إلا سبعة جنيهات ،
نفت إلى نفسها حزينة يائسة ... وأقبلت عليها
صديقتها ليليان . تسرى وترقه عنها ... وكانت
ليليان فتاة فى مثل سن مايل تعمل فى أحد محال
التجميل ، وكانت على النقيض من مايل فتاة فارعة
جميلة مرحة — من هؤلاء الفتيات الباسمات اللائى
يجتذبن قلوب الرجال من النظرة الأولى — وكان
جمالها يقوم على التصنع والتطرية إلى حد ما ...
فوجه ناصع البياض ، وأظفار شديدة الحمر ، وشعر
منسّق مصفّف ... الخ ...

ولعل من العجيب أن تجمع الصداقة بين هاتين

فتمأقته وعادت إلى ماييل قائلة :

— لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه ؟

وسقطت هذه الكلمات العذبة الطلة على قلب ماييل سقوط الندى على الزهر فندت أطرافه ، وأتلجت شغافه ... فقالت مرددة :

— لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه ! ولكن لمن يكون الثعلب ؟

— لنا على السواء

وطربت ماييل لهذه الفكرة وصحبت ليليان فتمترتا الثعلب الفضى ... وأصبح ملكهما على السواء ... تطوق به ماييل اليوم ... وتأخذ ليليان غداً ... ثم ماييل بعد غد ... وهكذا ...

والواقع أن ليليان كانت سخية من جانبها عازفة بعض الشئ عن الثعلب ... فكثيراً ما كانت تلمسه منها ماييل في غير وقتها فلا تمنع قائلة ...

— خذيه يا عزيزتى ... فسأرتدي اليوم فرائى الأخضر .

ولبت هذا النظام معمولاً به بينهما في رقة من الجانبين . وصفاء القلبين من اليوم السادس عشر من نوفمبر عند ما ابتاع الثعلب إلى ذلك الاثنين من إبريل عند ما ظهر الرجل في القصة

في صباح يوم من إبريل رضى النسيم ، أقبلت سيارة رمادية أنيقة إلى « صالون السيدة هيلير » للتجميل وهبط منها شاب يعم شطر المدير وسألها عن السيدة هاريس ... وأرسلت المدير ليليان للسؤال عنها داخل الصالون ، وبعد برهة أقبلت ليليان تقول : إن العاملة تقوم لها بعملية تلوخ الشعر

الفتاتين على ما فيهما من تباين الأهواء والمنازع ... ولكن لا عجب في ذلك فقد جمعهما منزل واحد وألفتهما سن واحدة ، وضمهما أجر متقارب ... فكانت ماييل تشغل جانباً من قلب ليليان ، وكانت ليليان تشغل جانباً من قلب ماييل ... قالت ليليان : — يجب عليك أن تحصلي على المال من طريق غير الاقتصاد .

— فهل تسمحين يا عزيزتى أن تصفى لي الطريق إلى ذلك ؟

— إننى مقدمة على شراء ورقة نصيب ... فهلا تقاسمناها .

وكانت ليليان طموحة مقاومة في أمثال هذه التواحي وكثيراً ما كان يواتها الجد فتربخ ... فأجبت ماييل :

— إذا كان الأمر كذلك فسأبتاع بدورى ورقة أخرى .

ولاجمال الحديث أقول لهما ابتاعا ورقتين ربحت إحداهما اثني عشر جنبها .

وقد يبدو لأول وهلة أن ماييل غمرها الفرح بالربح ولكنها كانت على التقيض من ذلك حزينة يائسة لأن نصيبها لا يقوم بابتاع الثعلب الفضى ... فقالت ليليان :

خفضي عليك يا عزيزتى ... إننى أخشى عليك أن تمسك مواس الجنون من جراء ذلك الثعلب اللعين .

— إننى أود أن تراه أولاً يا ليليان وانصاعت « ليليان » للرجاء وذهبت — في طريقها إلى محل عماتها — فألقت عليه نظرة خاطفة

وإنها ربما تستغرق نصف ساعة ... فقال الشاب في خفوت :

— سأعود ثانية

وقبل أن تضم ليليان شفيتها بعد تلك البسمة التي شيعته بها اختفى الشاب وسيارته ... وعاد الشاب بعد ثلث ساعة وجلس ينتظر مع ليليان التي علمت منه أن السيدة هاريس ليست زوجته وليست أخته وإنما هي والدته وأنه يسكن معها في «توبريدج» وأنه يشتغل مهندساً في المدينة .

وكان جيمس شاباً رقيق الشاب لدن المعاطف فارغ القامة لطيف المدخل ، لا يستطيع أحد أن يفرق بينه وبين بسمته اللطيفة الوداعة ...

وانتهت السيدة هاريس من عملية التموذج ، وخرجت تعبق أردائها بالأنسام العاطرة ، وشعرها الرمادي مموج ، مصنف ، معطر ، وصحبت ولدها إلى السيارة فانطلقت بهما إلى «توبريدج» ... ولم ينس جيمس هذه المرة أن يشيع ليليان بابتسامة عذبة جميلة ...

وعادت السيارة الرمادية إلى الصالون مرة أخرى خلال ذلك الأسبوع ثم مرة ثانية ثم ثالثة ... ثم كانت صداقة بين جيمس وليليان ... ودعاها جيمس بعد ذلك للعشاء معه ... وطربت ليليان لهذه الدعوة وقبل أن تتخاضج شفاتها باقبول ذكرت ماييل فقالت :

— بكل سرور ... إذا أمكنني أن أصطحب صديقة لي

وقبل جيمس ذلك فرحاً ... ثم قال في ابتسام :

ولكن متى يكون ذلك ...

السبت ؟

ولكنه كان يقضى السبت والأحد دائماً في «توبريدج» مع والدته ... فقال :

— وماذا عن «الاثنين» ؟

— الاثنين ؟ ... حسن ... إلى اللقاء

وكان ذلك يوم الخميس ... وكان يوم ماييل للتحلى بالثعلب وستأخذه منها ليليان صباح الجمعة ، ثم ماييل السبت ، ثم ليليان الأحد ، ثم ... آه إنه لمايل يوم الاثنين

وفي صباح الأحد دخلت ليليان على ماييل في مطرفها الياباني الموشى :

— أنت في حاجة اليوم إلى الغراء يا عزيزتي ؟

— كلا ... فلن أغادر الغرفة اليوم

وفي مساء قبيل موعد النوم بقليل أقبلت ليليان تقول لمايل في بسمة جميلة :

— آه ... لقد نسيت أننا مدعوتان للعشاء غداً

— مدعوتان ؟ ... ولكن من دعانا ؟

— جيمس

— ومن جيمس هذا ؟

— سترينه ... شاب لطيف

— ولكن كيف يدعوني جيمس هذا وأنا ...

فقاطعتها باسمه :

— رأيت من الأفضل أن نذهب معاً

— أيجبك هذا الشاب ؟ ...

— يلوح لي ذلك

— وأنت ؟ أتعجبينه ؟

— ربما ... قالتها في ضحكة عالية مرنة

— ولكن حدثيني يا عزيزتي ... من هو ذلك

وصمتت ماييل وأخذت طريقها إلى الحمام فأوصدت خلفها الباب ثم نظرت في المرآة ، وقد تكفأ لونها ، واستدّمت عيناها من التأثير ...

وأقبل جيمس أخيراً وكانت ماييل تلوح في ثوبها البسيط جميلة رائعة ، وقد نادت الدموع وجنتها ووردت طرف أنفها ... أما ليليان فكانت ترتدي ثوباً أحمر مزيناً بالريش ، وعلى كتفها الأيسر يسوس الثعلب الفضي ، وعلى الأيمن طاقة صغيرة من الزهور وعلى جيدها سمط منضد من اللؤلؤ ... وركبوا جميعاً السيارة ، فبعق جوها بأعطار ليليان ... وانطلقت في طريقها إلى المطعم حيث كان جيمس ينتظر قدوم صديق له فختار منضدة قريبة من المدخل حتى يلحظ قدومه ...

ورأت ليليان ألا تمر بجمع حفيل كهذا دون أن تلفت لحاظ من حولها ... ومهزة خفية من كتفها سقط الثعلب الفضي على الأرض فتثنى جيمس والتقطه ثم انتفض واقفاً وأعادته إلى كتفها وهو حائق مغيط ، فقد كان لا يحب أن يلفت إليه الأنظار ... وجلست ليليان تتحدث وتحدث وتسهب وتستفيض وماييل معقودة اللسان صامتة ... وأخذ جيمس الملل من الحديث ، فطلق يسارق ماييل النظر ... ونظر جيمس فإذا يداها على المنضدة ... فجعل يقارن بين هذه الكف المطلية الأظفار التي يفوح من أنفاسها العطر ... وبين هذه الكف الرخصة ، الرقيقة الأنامل ، الوردية الأظفار دون طلا ، ...

ونجاة ... ودون أن يدرك جيمس حقيقة ما يفعل رفع تلك الكف الجميلة إلى فمه وطبع عليها

الشاب ؟ ... أهو جميل ؟ ... وماذا يعمل ؟ ... وأين تقابله ؟ ... وأي ثوب ارتدى ؟ وأغرقها ماييل في فيض من هذه الأسئلة ... فأجابها ليليان :

— ستين ... إنه سيمر علينا عدا في سيارة عمي مساء يا عزيزتي

وخرجت ليليان تتخطر في مشيتها بعد أن حلت الثعلب الفضي ... ولم تفتن ماييل أول الأمر إلى ذلك ، ولكنها ذكرت أخيراً أن يوم الاثنين من نصيبها ... وفي مساء الاثنين بين السادسة والسادسة والنصف هبت العاصفة ، وبدأ الشجار ... إذ نهت ماييل ليليان إلى أن الثعلب من نصيبها ذلك اليوم ... ولكن ليليان أصرت على أنه من نصيبها هي الأخرى وقالت :

— إنني لم أتطوق به البارحة

— هذا لا يعني ... ولكنه كان يومك. فقالت ليليان محتمة :

— لقد دفعت نصف ثمنه ... أو لم أفعل ؟ .. ولم أستعمله إلا زهاء ربع المدة ، لقد كنت سخية فيه معك أكثر مما ينبغي

وترأت هذه الكلمات على ماييل كالسهم الواحى ، حقاً لقد كان معها الثعلب أكثر المدة ... فقالت في استخزاء :

— ولكن كيف أحببت ؟ وليس لي إلا ثوبي الأزرق القديم .. أما أنت فلديك الكثير ويمكنك أن ترتدي ثوبك الأخطر الجديد

ولكن ليليان لم تعرها التفاتاً ... وطفقت تتزين أمام المرآة

دعاها جيمس لزيارته في « تونبريدج » لترى والدته فأجبت بالموافقة .

والظاهر أن السيارة الرمادية الجميلة جالت عدة جولات قبل وصولها إلى المنزل ... لأن ماييل وجدت ليليان قد وصلت قبلها وأوصدت عليها باب غرفتها

من يعلم ؟ ... ربما لو أزيقت ماييل تلك الليلة وتطوقت بالشعاب القضي لتبدل الموقف وصار غير ما هو عليه الآن ... ونظرت ماييل .. فإذا بالشعاب القضي ملقى على سريرها ينظر إليها بعينيه الوهاجتين في دهاء ومكر ... كما لو كان حياً .
« اسكندرية »

قبلة هادئة ... ثم أعادها إلى ماييل كما لو كان يعيد شيئاً ثميناً يحشى عليه الثأب

وأقبل صديق جيمس أخيراً وهو شاب في مقتبل العمر ، وعندما قدم جيمس إليه صديقيته تبدت له ثلاثة أمور جديدة ، أولها أن اسم ماييل ينتهي بكلمة « سوتون » . وثانيها أنه يذكر ذلك الاسم منذ أيام دراسته في « اكسفورد » وهو اسم صديق له يدعى « ريتشارد سوتون » . وثالثها أن صديقه ريتشارد سوتون أخو صديقه ماييل سوتون ...

وجلس جيمس يفكر في تلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تحالده الحياة وتستدفع الفقر بيديها ليتربى أخوها الأكبر في « اكسفورد » ... إنه لعمل جليل حقاً ... وإن مثل تلك الفتاة لجديرة بالأكابر والاحلال ...

وعرفت الموسيقى وبدأ الرقص ، فرقص جيمس مع ماييل أولاً ثم مع ليليان ، ثم مع ماييل ثانياً ... ثم جلسوا جميعاً ، وجعلت ليليان ترسل النكات الفارغة الواحدة تلو الأخرى ... وجلست ماييل تجاه جيمس بوجهها الباسم الحالم ، وعيناها وشعرها تفيض ذهباً ...

ورأى جيمس الأمور على أن يصبح صديقه ليليان إلى المنزل ، وأن يصطحب هو ماييل في سيارته على أن تتولى القيادة ذراعه اليمنى ، لأن الذراع اليسرى لا يمكنها أن تغادر تلك المعاطف اللينة وقبل أن تهبط ماييل من السيارة أمام المنزل

في أصول الأدب

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة ويلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا